مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين .. الذي خلق الإنسان فسواه، وعدله، في أي صورة ما شاء ركبّه .. فسبحان الله أحسن الخالقين .. والحمد لله الذي فضل الإنسان على جميع خلقه تفضيلاً .. والحمد لله الذي ميز الإنسان بعقل يستطيع من خلاله أن يروض الأرض، ومن في الأرض لتحقيق ما يريد .. والوصول إلى ما يصبو إليه .. ولذلك فقد زوده سبحانه بسمع وبصر وفؤاد أي أعطاه الإمكانات التي تعينه على ذلك ليرى أيشكر أم يكفر .. ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ويزيده الله هدى .. ومن يكفر فإن الله غني عن العالمين .. والصلاة والسلام على خير خلق الله، وخاتم أنبيائه ورسله .. سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ..

وبعـــــد ،،،

يعد اضطراب التوحد أحد أهم الاضطرابات النمائية التي يتعرض الطفل لها، ومن أكثرها شيوعاً . وقد مر هذا الاضطراب بأطوار عدة في تحديده وتشخيصه حيث شخصه كانر Kanner في البداية على أنه فصام الطفولة، ثم ورد في الطبعة الثالثة من دليل التصنيف التشخيصي والإحصائي للأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية DSM- III الصادر عن الجمعية الأمريكية للطب النفسي APA عام ١٩٨٠ وفي الطبعة الثالثة المعدلة من ذات الدليل DSM- III- R الصادرة عام ١٩٨٧ أنه اضطراب سلوكي، ثم تم النظر إليه أخيراً في الطبعة الرابعة من الدليل ذاته DSM- IV الصادرة عام ١٩٩٤ وفي الطبعة التي تمت مؤخراً منه وذلك عام ٢٠٠٠ فضلاً عن الطبعة العاشرة من التصنيف الدولي للأمراض ICD- 10 الصادرة عن منظمة الصحة العالمية WHO عام ١٩٩٢ أن هذا الاضطراب يعد بمثابة اضطراب نمائي عام أو منتشر Pervasive

obeikandl.com

Developmental Disorder وهي النظرة التي لا نزال ننظر إليه وفقاً لها حتى الوقت الراهن . وفي ضوء ذلك يعتبر اضطراب التوحد من وجهة نظرنا اضطراباً معقداً يمكن النظر إليه على أنه اضطراب نمائي عام أو منتشر يؤثر سلباً على العديد من جوانب شخصية الطفل، ويظهر على هيئة استجابات سلوكية قاصرة وسلبية في الغالب تدفع بالطفل إلى التقوقع حول ذاته . كما يتم النظر إليه أيضاً على أنه إعاقة عقلية، وإعاقة اجتماعية، وعلى أنه إعاقة عقلية اجتماعية متزامنة أي تحدث في ذات الوقت، وكذلك على أنه نمط من أنماط اضطرابات طيف التوحد يتسم بقصور في السلوكيات الاجتماعية المختلفة، والتواصل، واللعب الرمزي فضلاً عن وجود سلوكيات واهتمامات نمطية وتكرارية ومقيدة .

ويعد تعليم وتدريب الأطفال التوحديين، وتعديل سلوكهم في ضوء ذلك أمراً غير يسير. ويهدف تعديل سلوكهم إلى تحقيق واحد أو أكثر من الأهداف التالية :

١- إكساب هؤلاء الأطفال مهارة معينة أو جانب من مهارة معينة، وصقلها، وتنميتها لديهم، أو صقلها وتنميتها إلى أقصى ما تسمح به قدراتهم وإمكاناتهم إذا كان ذلك الجانب من المهارة موجوداً لديهم بالفعل .

٢- إكسابهم سلوك معين أو أكثر من السلوكيات المقبولة اجتماعياً ، وتدريبهم على أن يأتوا بمثل هذا السلوك ما استطاعوا .

٣- الحد من تلك السلوكيات اللااجتماعية أو السلوكيات غير المقبولة اجتماعياً التي قد تصدر عنهم في كثير من الأحيان والمواقف .

وهناك العديد من الاستراتيجيات التي يمكن أن يتم إتباعها في سبيل تعليم مثل هؤلاء الأطفال حيث تتراوح البرامج التي يمكن اللجوء إليها في هذا الإطار بين التدخلات المكثفة intensive والممتدة extensive من جهة، وبين برامج التدخل المبكر early intervention والبرامج الانتقالية transition من جهة أخرى . وتتطلب أن يتم تقديم الإرشاد الأسري حتى يتسنى لأسر مثل هؤلاء الأطفال أن يلعبوا دوراً حيوياً في هذا الصدد . وتأتي الاستراتيجيات السلوكية في مقدمة تلك الاستراتيجيات المستخدمة لذلك،

كما يتم أيضاً اللجوء إلى الاستراتيجيات التنموية . وهناك إلى جانب ذلك التدخلات الطبية، وإن لم يكن لها النصيب أو الدور الأكبر في هذا المضمار، كما أن هناك ما يعرف بالاستراتيجيات المصورة أي التي تستخدم الصور ومن أهمها ما يلي :

١- برنامج تحقيق التواصل بنظام تبادل الصور Picture Exchange Communication System PECS الذي أعده بوندي فروست Bondy Frost عام ١٩٩٤ للأطفال التوحديين حيث يبدأ التواصل عن طريق تبادل صور تمثل ما يرغب فيه مع المدرس أو الوالد الذي يتواصل معه، ويعمل على تحقيق رغباته بعد أن يحضر الصورة التي تتضمن ما يريد أن يفعل، والبطاقة التي كُتب عليها " أنا أريد " . ويقوم هذا البرنامج على أنشطة تواصلية مناسبة مع استخدام التدعيم أو التعزيز، والتصحيح الفوري للأخطاء، والتعميم إلى جانب التشكيل، والتلقين، والتسلسل العكسي، والتلاشي .

٢- البرنامج العلاجي والتربوي للأطفال التوحديين ومن يعانون من إعاقات التواصل المرتبطة Treatment and Education of Autistic and related Communication Handicapped Children وهو البرنامج الذي أعده سكوبلر Schopler منذ أوائل سبعينيات القرن الماضي والمعروف TEACH وذلك لمساعدة الطفل على تحقيق قدر مناسب من التوافق عن طريق تحسين مهارات الطفل، ومعالجة نواحي القصور التي يعاني منها، والعمل على تقديم تأهيل متكامل للطفل يتناول نواحي القصور التي يسببها اضطراب التوحد، وإعطاء أولوية للعلاج المعرفي السلوكي، والاهتمام بالوسائل البصرية والمثيرات البصرية عامة، والعمل على تنمية مهارات الحياة اليومية، والمهارات الاجتماعية من خلال المثيرات البصرية المختلفة .

٣- جداول النشاط المصورة وهي الإستراتيجية التي قمنا نحن بتقديمها والتي يمكن أن تستخدم في سبيل التعديل السلوكي لهؤلاء الأطفال ، ومن ثم فهناك العديد من إجراءات تعديل السلوك تستخدم بغرض تعليم تلك الجداول للطفل وتدريبه عليها،

obeikandi.com

إضافة إلى أن الإجراءات الخاصة بها كإستراتيجية تعمل جميعها في سبيل تعديل سلوك الأطفال ومساعدتهم على الاندماج في المجتمع حيث يمكن للطفل عندما يجيد استخدام هذه الجداول أن يؤدي النشاط المطلوب دون أن يحصل على أي مساعدة من أحد الراشدين ، ويصبح بإمكانه أن يساعد في الأعمال المنزلية، أو في تلك الأعمال التي يتضمنها اليوم المدرسي العادي إلى جانب إمكانية أن يقيم علاقات مع الآخرين، وأن تنشأ بينه وبينهم تفاعلات اجتماعية ناجحة .

٤- يمكن استخدام الإستراتيجية التي قدمتها كارول جراي Gray والتي تعرف بالقصص الاجتماعية social story والتي قمنا نحن بالحفاظ على كل أركانها مع تحويلها إلى قصص اجتماعية مصورة تعمل في المقام الأول على تنمية لمهارات الاجتماعية، والمعرفية للطفل، وقدرته على التفاعل الاجتماعي .

٥- هناك مسألة أخرى في سبيل رعاية هؤلاء الأطفال بدأت بعض الدول في أوربا وأمريكا تأخذ بها ، ويتمثل ذلك في إمكانية دمج mainstreaming هؤلاء الأطفال مع أقرانهم العاديين بالمدارس كما هو الحال بالنسبة للأطفال المتخلفين عقلياً . وهذا الدمج بطبيعة الحال لا يمكن أن يكون دمجاً كلياً ولكنه يكون دمجاً جزئياً وخاصة في حصص النشاط .

ومن جانب آخر يمكن استخدام الموسيقى كوسيط فاعل في العملية العلاجية لهؤلاء الأطفال في إطار ما يسمى العلاج بالموسيقى music therapy مستغلين في ذلك الميل أو الانجذاب غير العادي من جانب هؤلاء الأطفال للموسيقى وخاصة الموسيقى الخفيفة . ويعد العلاج بالموسيقى وفقاً لما تقره الجمعية الأسترالية للعلاج بالموسيقى هو ذلك الاستخدام التخطيطي للموسيقى من أجل الوصول إلى الأهداف العلاجية المنشودة مع الأطفال والبالغين من ذوي الحاجات الخاصة الذين ترجع إعاقتهم في الأساس إلى العديد من المشكلات العقلية، أو العضوية، أو الاجتماعية، أو الانفعالية . بينما تعرفه الجمعية القومية الأمريكية للعلاج بالموسيقى بأنه الاستخدام المتخصص للموسيقى لخدمة أولئك الأشخاص الذين يعدون في حاجة إلى تحقيق القدر المعقول من الصحة النفسية، أو

الجسمية، أو العضوية، أو التأهيل وإعادة التأهيل، أو التربية الخاصة حيث يتضمن العلاج في حد ذاته حدوث تغيرات معينة في السلوك . ويحدد قانون تعليم الأفراد ذوي الإعاقات Individuals With Disabilities Education Act IDEA العلاج بالموسيقى على أنه يعد بمثابة إحدى الخدمات التي ترتبط بالتربية الخاصة وهو الأمر الذي يجعل المعالج الموسيقي أحد أفراد الفريق الذين يوكل إليهم إعداد خطة التعليم الفردية Individual Educational Plan IEP للطفل حيث يعتبر العلاج بالموسيقى من هذا المنطلق أحد المكونات التي تضمها وتتضمنها تلك الخطة والتي تسهم بشكل واضح في تحقيق الأهداف التربوية التي يتم تحديدها فيها .

وفي الواقع يعد العلاج بالموسيقى هو محور اهتمامنا في الكتاب الراهن، ويعد أسلوباً حديثاً وإستراتيجية علاجية حديثة بالنسبة لبيئتنا العربية محلياً وإقليمياً . وهناك العديد من المداخل التي يمكن استخدامها في العلاج بالموسيقى، وإن كانت مثل هذه المداخل تعتمد في غالبيتها على الارتجال improvisation الموسيقي التلقائي . ويقوم المعالج باستخدام آلات الطرق أو النقر percussion instruments أو التنغيم، أو يستخدم صوته كي يستجيب بصورة ابتكارية لتلك الأصوات التي يصدرها الطفل، ويشجعه من جانب آخر على ابتكار لغة موسيقية خاصة به .

ويعتبر العلاج بالموسيقى بالنسبة للأطفال التوحديين شكلاً من أشكال العلاج الوظيفي occupational حيث يعد بمثابة أحد أنماط العلاج أو التدخلات المختلفة التي يمكن أن نعمل بواسطتها على الحد من تلك الآثار السلبية التي تترتب على اضطراب التوحد، ومن هذا المنطلق يمكن أن نعتبره ضمن الخدمات التي تصاحب التربية الخاصة شأنه في ذلك كالعلاج الوظيفي أو العلاج البدني . ويقوم هذا النمط على استخدام الموسيقى بطريقة علاجية يمكننا من خلالها أن نتناول الأداء الوظيفي السلوكي ، والاجتماعي، والنفسي، والجسمي، والحس حركي، والمعرفي للطفل التوحدي فضلاً عن التواصل من جانب ذلك الطفل .

ويلعب المعالج الموسيقي دوراً كبيراً بالنسبة للطفل التوحدي، ويعمل مع الأطفال بطريقة فردية أو حتى في مجموعات صغيرة مستخدماً موسيقى وتكنيكات موسيقية متنوعة في سبيل مساعدتهم على الاشتراك معه فيما يقوم به وهو الأمر الذي يكون من شأنه أن يجعلهم يشتركون مع بعضهم البعض حيث يقومون بشكل منظم بأداء العديد من الأشياء مستغلين في ذلك مكونات الموسيقى من كلمات منغمة، وعزف، وغناء، وحركات إيقاعية مما يؤدي إلى حدوث تغيير في سلوكياتهم أو استجاباتهم وهو ما يساعدهم على إشباع حاجاتهم . ومن هذه الأشياء الغناء الجماعي ، والإنصات، والعزف على الآلات الموسيقية، والقيام بالأنشطة المختلفة .

ولتوضيح ذلك الدور الذي يمكن أن تلعبه الموسيقى والعلاج بالموسيقى في هذا الصدد فإن الكتاب الحالي من هذا المنطلق يضم بين طياته بابين، يتألف كل منهما من ثلاثة فصول ليصبح بذلك عدد الفصول المتضمنة ستة تتراوح في تناولها لهذا الموضوع بين الأسس النظرية والتطبيقية بحيث يبرز هذا الموضوع في شكل متكامل، كما يعمل على إبراز كل ما هو جديد في هذا الإطار .

ويتناول الباب الأول منهما الأسس النظرية للعلاج بالموسيقى للأطفال التوحديين، ويتألف من فصول ثلاثة يتناول أولها الصورة الكلية الشاملة لاضطراب التوحد ، ومحاولة التوصل إلى نظرية موحدة تفسر اضطراب التوحد. ويتطرق أيضاً إلى أسباب اضطراب التوحد فيعرج إلى النظريات السببية الأولى أو المبكرة ، والنظريات السببية المعاصرة، والعوامل المساعدة على حدوث الاضطراب فضلاً عن تشخيص وتقييم الاضطراب ، وينتهي الفصل بعرض وجهة نظر حول النظرية المقترحة نوضح رأينا من خلالها . أما الفصل الثاني فيتناول تلك الكيفية التي يمكن بموجبها للعلاج بالموسيقى أن يؤثر على الأطفال التوحديين ، ولذلك فهو يعرض لمفهوم العلاج بالموسيقى ، ويبين الأسباب التي تدفعنا إلى العلاج بالموسيقى ، وأساليب العلاج بالموسيقى ، ثم العلاج بالموسيقى للأطفال التوحديين ، وكيف يؤثر عليهم، والدور الذي يلعبه المعالج الموسيقي للأطفال التوحديين . وينتهي الفصل باستعراض برامج العلاج بالموسيقى وإعادة التأهيل

في حين يتناول الفصل الثالث الأساليب التي يمكن إتباعها في سبيل رعاية الأطفال التوحديين وتعليمهم مع التركيز على دور العلاج بالموسيقى في هذا المضمار . ويتناول في سبيل ذلك الملامح الأساسية المميزة للاضطراب كمحدد أساسي لبرامج التدخل ، وبعض الاعتبارات التربوية والتدخلات المرتبطة ، وبرامج التدخل لتعليم وتدريب الأطفال التوحديين .

أما الباب الثاني فيتناول ثلاث محاولات جادة في ثلاثة فصول استخدمنا خلالها العلاج بالموسيقى مع الأطفال التوحديين كي نعمل على تعديل سلوكهم في أحد جوانب شخصياتهم فتناولنا في الفصل الرابع فعالية العلاج بالموسيقى في تحسين مستوى التفاعلات الاجتماعية للأطفال التوحديين، وتناولنا في الفصل الخامس فعالية العلاج بالموسيقى في تنمية المهارات الاجتماعية للأطفال التوحديين وأثره في تحسين قدرتهم على التواصل بينما تناولنا في الفصل السادس والأخير فعالية العلاج بالموسيقي في تحسين مستوى النمو اللغوي للأطفال التوحديين . ومن أهم ما يميز هذه المحاولات قيام أساتذة للموسيقى بمشاركتنا في إجرائها حيث قمنا نحن بإعداد الجانب النفسي، وما يتعلق من البرنامج المستخدم في كل دراسة بأسلوب العمل مع الأطفال التوحديين، وتدريبهم، وتعليمهم في حين أعد كل أستاذ من أساتذة الموسيقى الذين شاركونا إجراء تلك الدراسات الجانب الموسيقي وما يتضمنه من أنشطة ومهام موسيقية مختلفة في البرنامج المستخدم في الدراسة التي شارك فيها، وقام بتنفيذه وهو ما أعطى لكل برنامج مستخدم صفة التكامل والشمول .

وأخيراً فإنني أسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في عرضي لهذا الكتاب، وأن أكون قد أضفت به جديداً إلى المكتبة العربية في التربية الخاصة، وأن يستفيد منه كل من يلجأ إليه، وأن يجد فيه ضالته المنشودة، وأن تتحقق به الفائدة المرجوة منه ..

والله ولي التوفيق ،،،

أ.د./عادل عبدالله محمد